خطبة التوازن في التربية

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

العدل والقسط والوسطية قوام الحياة وميزان إعتدالها وأتزانها وإستقرارها ، قال تعالى :" والسماء رفعها ووضع الميزان ألاّ تطغّوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان "(الرحمن 7-9)

وحديثنا اليوم -عباد الله- عن جانب من جوانب العدل والقسط والوسطية، وهو العدل مع النفس في تربيتها على الاخلاق الفاضلة ، وهو ملخصٌ ما ذكره الامام بن القيم رحمه الله في فصلٍ نافعٍ غاية النفع لكل مربٍّ ومعلم ، بل ولكل مسلم ينشد الارتقاء بنفسه لمراتب الايمان العالية وشعبه السامية ،

قال رحمه الله ماملخصه :

أن للأخلاق حدٌ متى جاوزته صارت بغياً و عُدواناً ، ومتى قصرت عنه كان نقصاً ومهانة

فللغضب حدٌ : وهو الشجاعة المحمودة ، والأنفة من الرذائل والنقائص ، وهذا كماله . فإذا جاوز حَّده تعدى صاحبُه على العباد وجار وظلم ، وإن نقص عنه جبن ووهن ولم يأنف من الرذائل،وهذا ماأوضحه القرآن الكريم بقوله تعالى "وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ  أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(43)(الشورى)

وللحرص حد : وهو الكفاية في أمور الدنيا ومتاعها ، وحصول البلاغ منها ، فمتى نقص عن ذلك كان إهمالا ومهانة وإضاعة ، ومتى زاد عليه ، كان شَرَهًا وطمعاً وركونا للدنيا ،

وفي هذا الميزان الاخلاقي قال تعالى "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ  وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا  وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ  وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ  إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"

وللحسد حدٌّ : وهو المنافسة والغبطة في طلب الكمال ، والأنفة أن يتقدم عليه نظيره ، فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً وحسداً مذموماً ، يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ،، ومتى نقص عن ذلك كان ضعفَ همةٍ وهوانََ نفسٍ ، قال تعالى بعد ذكر نعيم الجنّة" وفي ذلك فليتنافس المتنافسون "

وللشهوة حد : وهو راحة القلب والعقل من الكد والإستعانة بقضائها على اكتساب الفضائل والبعدِ عن الرذائل ، فمتى زادت على ذلك صارت نهمة وفساداً و طمعا ، ومتى نقصت عنه في طلب الكمال والفضل كانت ضعفاً وعجزاً ومهانة،،،

قال تعالى :" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ"(آل عمران14)

والانفاق له حدٌّ بين طرفين : فمتى جاوز حدَّه صار إسرافاً وتبذيراً ، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقتيرا ، قال تعالى " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما"ً

وللتواضع حد : إذا جاوزه صار ذلاً ومهانة ، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر

وللعز حد : إذا جاوزه كان كبراً وخلقاً مذموماً ، وإن قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة

وقد إمتدح الله جلّ وعلا عباده المؤمنين الذين حقّقوا ذلك الجمع بين العزة على الكافرين والذّل للمؤمنين بقوله تعالى "ياأيها الذين آمنوا من يرتّد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبّهم ويحّبونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم" ،

وهذا كان حالُ أمتنا لأجيال مضت ، تنكبت عن طريق العزة والجهاد وركنت لمكائد الأعداء في الذل والهوان ، ومعاهدات الاستسلام والخنوع مع من لايرقبون في مؤمنٍ ، إلاً ولاذمةً ، فضاعت الحقوق ودّنست المقدسات ،وقد مرّت علينا قبل يومين ذكرى احراق المسجد الأقصى عام ٦٩ لتثبت للأمة حقيقة الصهاينة وغايتهم ،الى أن قيضّ الله تعالى تلك الثلةَ المجاهدةَ في غزة التي أذاقت الصهاينة وأعوانهم الذل والهوان ، عجّل الله لهم نصره وفتحه ، ومكّن لهم عزه وكرامته .

وفقنا الله لمايحبه ويرضاه وجعلنا من عباده المقسطين وأوليائه المتقين أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم

معاشر المؤمنين

إن الموفق من أخذ بهذا التوازن الاخلاقي، المتمثل بالوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، وصدق الله تعالى بقوله :" وأقسطوا إن الله يحب المقسطين " عندها يرتقي المرء في سلم الرّقي الاخلاقي والسّمو الايماني في الدنيا ، وفي الاخرة للدرجات العلا من الجنة ونعيمها ، فإن الاخلاق الحسنة باب للدرجات العلا من الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم :" إن من أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ".

والسبيل لذلك عباد الله هو تربية النفس على كتاب الله تعالى و هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته ، قال تعالى " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21 الأحزاب)

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في حجة الوداع فقال إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا ، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه(صحيح الترغيب والترهيب)